

الأخوة الأبرار قليل كإبراهيم بن آدم (رحمه الله تعالى) وأكثر المتحلين للتصوف المدعين الاعراض عن الدنيا لتقرب من رضوان الله تعالى كانوا وما زالوا يطالبون الدنيا بهذه الأعمال لانهم وجدوها أقوى ذريعة للمال والجاه وهم في هذا أبعد عن زهد الحقيقي من الاغنياء لان الزهد عمل قلبي كما سنوضحه بعد . وقد فضحهم الأئمة المحققون في التصوف كالغزالي وغيره فكيف تقول إن ذلك أضر بالمسلمين ؟ والجواب عن هذا واضح وهو على وجهين (أحدهما) أن من مضرت وجوده الألف من رجال الدين عباداً وعلماً لأعمل لهم وإنما يعيشون عالة على الناس ومن الخلفاء الراشدين من كان صانعاً ومنهم من كان تاجراً . وما التكايا التي أحدثها المسلمون إلا كلابارض عند المسيحيين ، ولكنهم لا يوجبون على من دخلها أن يكون راحياً طول حياته و(ثانيها) أن المضرة قد ظهر أثرها في مجموع الأمة فبلا حتى هبطت من الأوج إلى الخضيب . وهكذا شأن التعاليم النافعة والمضرة لا يعرف تأثيرها إلا بمثل ذلك . وإن شئت تعليلاً عقلياً يثبت لك تأثير الغلو في التزهيد باسم الدين على ما فيه من مخالفة سنن الفطرة فتأمل في حال كل من يعمل عملاً تقتضيه الطبيعة والفطرة اقتضاء حتماً أو غير حتم وهو يعتقد سوء مقبته تجده في عمله ضميماً لا يبلغ الغاية منه . أنظر لمن بحمته الغضب على الضرب وهو يخاف الله أو عقوبة الحاكم كيف يكون ضربه دون ما تباغته قوته لولا ذلك الخوف وربما يكون في وقت الضرب ناسياً لمراقبة الله وغير متفكر في عقوبة الحكومة ولكن نسيان ما انطوت عليه النفس وعدم ملاحظته والتفكر فيه لا يبطل أثره . وتأمل كيف إن العرب ما أتقنوا فن الموسيقى في أيام حضارتهم مع اشتغالهم به بحجارة للطبيعة الميالة اليه ، وما ذلك إلا لان فقهاءهم يذمونهم ويحرمون بعض آلاته

باب التربية والتعليم

﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾

(٧) من هيلانه الى أراسم في ٣ ابريل - سنة - ١٨٥

قد أتاني السيد ... بشيء من أخبارك بعد طول تطاعي اليها فاطمان قلبي قليلاً

عما قاله لي عنك وزال بعض ما كنت أجده من الجزع عليك
لا يخطرن ببالك أني نسيت ما تلقيته من نصائحك ونمايلك في تربية (أميل)
فاني بأذلة قصارى جهدي في تعريفه بما حوله من الأشياء وفي هذا المقام أقول إنني
أحسبني قد تبينت أن فتور مشاعر الطفل ينشأ من عدم التفاته الى المحسوسات
أكثر من حدوثه من ضعف تلك المشاعر فإن في قدرته أنه يدرك أصوات كثير
من الأشياء الخارجة وألوانها تمام الإدراك لو أراد أن يكلف نفسه الاصغاء والنظر
اليها ولكن لما كانت هذه الأشياء لا تستمليه كان يفتقها اغفالا كليا. وجملة القول
في ذلك أنه لا بصر له ولا سمع الا فيما يجب إبعاره وسماعه، واذا كان هذا شأنه
فكيف السبيل الى معرفة ما يروقه من الأشياء وما لا يروقه؟ اني أعترف وأنا
صاغرة بأني كثيرا ما أخطأت في استعراف تلك الأشياء فليس كل ما أخبره منها
لتنشيط حاسة اللمس في (أميل) يجب أن يجيل فيه يديه الصنيرتين. ثم إن أبهى
الالوان وأجملها في نظري تمر أمام عينيه مرور الظلال فلا تستلته أقل استلغات
وأنا أفطن أننا معشر الامهات مدفوعات في هذا الامر وفي غيره الى احلال أذواقنا
محل أذواق الاطفال .

ان جورجيا وهي أقل مني ارتياضا بالعلم لانجح مني أغلب الاحيان في سياسة
(أميل) فانها تجهد بفر برتها ما يعجبه ويسليه ويذبه قوة الاستطلاع فيه ، وربما
كانت تستعرف رغائبه فتسعى في تحصيلها له . وسبب ذلك أنها كما نعلم قد كانت
والدة لثلاثة اولاد حرمها منهم الرق على التماقب ولا تدري أين هم الآن ، فلا
يدع إذن في شدة تعلقها بأميل ومحبتها له ، وإني لفي وجد عليها من حبها إياه أكثر
مني ، وحاشا أن يكون ذلك حسداً فإنه مستحيل . وأما الذي أحسدها عليه هو قدرتها
على أن تكون طفلة مع الطفل ، فهل هذا هو الذي تعنيه بكلامك في استعداد المرأة
الزنجية للامومة ؟ ليت شعري هل تصدق أن أميل قد صار من أصدق التابعين
لزورواستر (١) أعني أنه يعبد الشمس ؟ من أجل أن تعتمد ذلك ينبغي أن تراه

(١) زورواستر هو شارع ديني للامم البكتريانية. وهم سكان قسم من آسيا كان
يدعى قديما بكتريانيا وهو الآن تركستان وهذا الرجل هو المؤسس للديانة البرسية
التي تدعو الآخذين بها للاعتقاد بالآلهين وهما الضياء والظلام أو منشأهما وروحا =

لتنظر كيف يسقط ذراعيه الى ضيائها فرحا برؤيته .

كان الشتاء عندنا في غاية السهولة فلم ينزل فيه الثلج الا مرتين على أنه كان فيها يدوب بمجرد ملامسته الارض ولا تنال الاشجار مجردة من أوراقها فالريف العاري من الخضرة كالبيت الخالي من الفراش والاثاث ولكن نفحة من الحياة انشأت تدب وتسري في مادة الكون جميعه وان تلبث ان تملا ما خلفه الفصل المتقضي من الفراغ وقد امتست الآصال عندنا في غاية الصفاء والطف ولذا ترى (أميل) اذا رأى الجو صحواً أبدي من القلق ما يدل على رغبته في أن يحمل الى الخديفة ولما كانت الشمس في (كورنواي) خصوصاً زمن الربيع لا ضرر فيها على أحد بل إنها تلائم الاطفال والشيوخ اعتادت جورجيا ان تفرش سجادة على الحشيش الجاف وتجلس عليها (أميل) ليلعب ويمرح كما يشاء ولما رأته يعتمد علينا في حراسته مدة وجودنا معه قصدت أن اعلمه شيئاً من الثقة بنفسه والارتكان عليها فأوعزت الى جورجيا بالتحني عنه واختفيت عن بصره انا ايضا من غير ان يعيب عن عيني فلاحظت انه في مبدأ الامر خاف عندما فكر في وجود وحيدا وابدي بعض القلق لكنه ما لبث ان تشجع وقوي قلبه فكنت حينئذ اراه يفتح عينيه ويلتفت الى كل ما يحول حوله ويحرك يديه الصغيرتين كأنه يدود ذبابة تطن فوق رأسه فأخذت على نفسي من هذا الوقت ان اكف عنه مراقبتي حينما بعد حين حتى اذا أحس بقله حائتي له تعلم كيف يستدني عن مساعدة غيره .

إني كلما فكرت في فروض الامومة بدالي منها معنى قلما يشابه ما يفهمه غيره من النساء فأني ارى انه من الواجب علي بمجرد ان يكبر (أميل) أن احرم نفسي من لذة مكائفته في كل وقت بأني مهتمة به لان اكبر شيء يعيق نمو الشاعر في بعض الاطفال ويمطل استقرار طباعهم إنما هو فيما ارى طريقة انقائمين عليهم في تربيتهم فانهم بكثرة حياطتهم اياهم بضروب من العناية البالغة غايتها من الظهور والناشئة عن فرط الاهتمام بهم يعودونهم على ان يعيشوا غير مهتمين بأنفسهم . فان الطفل اذا كان

— الخمر والشرو يسمى الاول (اورموزد) والبناني (اهريمان) او (اهرمين) وهذا هو اصل مذهب المانوية

غنيا متعجرفا كيف يتكلف إعمال ملكة الاحتفاظ بنفسه كلاب يكون شأنه مع نفسه كالوك الشرق الحمقى الذين يهون عليهم أن يسموا مشيري دولهم ابصارهم واصناعهم، طيبة بذلك نفوسهم، لانه يعتاد على أن يستعين في ابصاره ومعاينه بالمر بيات القائمات عليه المكلفات بخدمته وتعرف حاجاته لقضائيا، فإذا يكون حال هذا الطفل المبالغ في حفظه اذا رأى نفسه يوما ما بعد ان كان محوطا بأمتن أسباب الوقاية قد خلى بينه وبين أقل خطر يلح به لا شك أنه يكون أسوأ الناس حالا، وأكسبهم بالا، بل يكون هو الشخص الذي يحكى عنه أنه كان يخاف من خياله

إن (اميل) يدعوني بأفعاله وأحواله الى التفكير في كل شيء. فقد ذكرني بالامس شخصا من المذكورين في أساطير الاقدمين، ذلك أن الاطفال لاحساب المسافات عندهم وهذا الامر فيهم منشأ لكثير من الاغاليط المصرية الكثيرة، فقد كنت في الحديقة وكانت جورجيا واقفة في احد شبايك المنزل المشرفة على مكاني وهو على يديها فلم يكن الا أن رأي حتى بدت عليه علائم الابتهاج ومد الي يديه كالجناحين على ان الشباك الذي كان فيه هو في الطبقة الاولى من البيت فلما لم تصل الي يدها ظهر عليه الاندهاش ثم أفضى به الامر الى أن غضب واحمر وجهه، والذي كان يتبعه مني بحسب ما يحلولي اعتقاده هو ما أبدية له من صنوف الملاطفة والمداعبة، بل كان يريد أيضا التقام ثديه لانه لم يكن رضع من بضع ساعات فلم يكن لهذا المحبوب المسكين مثيل في عذابه هذا الاطانتال (١)

أأكون واهمة ان قلت أن اميل قد عرفك بل إنه قد عرف صورتك التي أريه إياها ذاكرة له اسمك. اما لا اعتقد أن هذا وهم فاني بحماتته في ذلك وابتماسه له ومدته يديه نحوها إخاله قد عرف والده تخمينيا

(١) طانتال في اساطير الاقدمين هو ملك فرنجيا التي هي قطر من اقطار آسيا الصغرى وكان قدم الالهة اشلاء اولاده طعاما فموجب بالجوع والعطش في جهنم و يضرب بمذابه المثل فيقال فلان بعذب عذاب طانتال اذا كان على الدوام معتقدا أنه قد صار من رغائبه بمكان اللامس وهو في الحقيقة عاجز عن ادراكها .